المصـــــدر : الرياض
التـــاريخ : 20-12-2006 العـــدد : 14058
الصفحـات : 61 المسلسل : 409

نهضة التعليم العالي تتجه إلى الصناعة المعرفية

المصـــــدر : الرياض
التـــاريخ : 20-12-2006 العـــدد : 14058
الصفحـات : 61 المسلسل : 409

تركي محمد العتيبي*

■ وضعت حكومة خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله- ملف التعليم العالي في مقدمة أولويات اهتمامات الدولة إيمانا منه أن العلم والاستثمار في الإنسان هما طريق المملكة لتحقيق التقدم وبلوغ المكانة اللائقة لبلادنا بين الأمم، واللحاق بركب الحضارة الإنسانية الحديثة وتعويض ما فاتنا من خطوات في مجالات التطور العلمي والتقني، ومواكبة القفزات الهائلة والمتسارعة في عصر العلم الذي نعيشه الآن والإسهام الفاعل في مسيرة التقدم الحضاري الإنساني.

ولتنفيذ رؤية خادم الحرمين الشريفين قامت وزارة التعليم العالي بترجمة هذه الأهداف الطموحة إلى خطط وإستراتيجيات بعيدة المدى ومن خلال نظرة علمية تستند إلى حقائق ومعطيات الواقع الذي تعيشه المملكة، ولضمان ألا تكون خططنا مجرد أمنيات صعبة بعيدة المنال، أو تتعجل الخطى، وحتى لا نقفز على أرض غير ثابتة أو غير ممهدة أو أن نسعى إلى بلوغ أعلى درجات السلم قفزاً دون الصعود من أول الدرجات، فقد سارت جهود الوزارة لتنفيذ تلك الخطط بواقعية وفي أكثر من صعيد وعيونها ترنو بكل ثقة نحو المستقبل بنظرة ثاقبة لا تتداخل فيها الصور أو تتلبس عليها الخطى والأهداف.

ومضت الوزارة تحث الخطى وتسرع وتيرة الحركة والإنجاز لكنها أبداً لا تتعجل بلوغ النهاية ولا تقفز في أرض مجهولة، تتثبت في خطاها قبل أن تنزل بالإقدام لتعرف على أي أرض تحط وفي أي موقع ترسو، ولا تتوهم أو تحاول إيهام المجتمع أو الأمم الأخرى أننا بلغنا الغاية وأنجزنا التطور العلمي الحقيقي، لكننا نجتهد في السير وبلوغ الهدف ووفق خطط مدروسة وواعية وبأهداف طموحة لكنها واقعية وبوسائل جادة وناجزة.

وليس عيبا أن تكون قد تأخرنا عن الركب وسبقتنا الأمم المتقدمة، ولكن العيب أن نركن ونهمل ونتواكل ونتباطأ، أو حتى نسعى لتعويض ما فاتنا بخطوات غير واقعية أو بخطط غير مدروسة، والعيب أن ننادي بأعلى صوت أننا ننافس ونواكب بل وها نحن على مشارف نهاية السباق بينما الواقع يقول إن سنوات وربما عقوداً تفصلنا عن خط النهاية، وليس عيبا أن نعترف بالفارق ونعمل بخطى علمية سليمة على تذويبه، وهذا ما نحاول في وزارة التعليم العالي أن نفعله الآن ومنذ سنوات.

وإذا كان التخطيط هو رائدنا والأسلوب العلمي الصحيح هو طريقنا كي نحقق النهضة التعليمية والعلمية ونقفز بجامعاتنا إلى مصاف الجامعات في الدول المتقدمة وننهض بمستويات هيئات التدريس إلى المستوى الأكاديمي المعترف به عالميا، ونرتقي بمستويات مناهج التعليم وتطور العملية التعليمية لتتبنى معايير الإبداع والتميز وإيجاد بيئة علمية ومعرفية وبحثية تسهم في تخريج كفاءات مميزة قادرة على التحدث بلغة العصر والعلم وتنافس في سوق مفتوحة على تسابق الكفاءات من كل اتجاه، فإننا عندئذ نكون قد حققنا الهدف وبلغنا الغاية وهذا ليس بمستحيل بل الواقع والممكن شريطة أن نسير بخطوات مدروسة وخطط واقعية كما ذكرت.

وأمامنا تجارب حية لدول شيدت مشروع نهضتها الحديث على إستراتيجية للنهوض بالتعليم وفي غضون عقود قليلة نجحت في تحقيق نقلة نوعية للمجتمع من بوابة التعليم والعلم وأصبحت الآن دولاً ومجتمعات يشار إليها بالبنان، وباتت تعرف بالنمور الاقتصادية التي يحسب لها حسابها في سوق الإنتاج والمعرفة، ومن هذه التجارب الناجحة ماليزيا وسنغافورة ومن قبلهما اليابان مع الفارق في التجربة والظروف التاريخية والخلفية الحضارية.

أما نحن فالحمد الله لدينا بشائر خير للنهوض، فقط أشير إلى تطورين مهمين على سبيل المثال لا الحصر، يثبتان أننا على الطريق الصحيح بإذن الله، وأننا لا نتعجل بل نمهد الطريق الذي يوصلنا إلى الغاية وبخطى متسارعة عالية الهمة، التطور الأول يتمثل فيما بشر به خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز- أيده الله- بموافقته على إنشاء (جامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية) على ساحل البحر الأحمر وتخصيص عشرة مليارات ريال للإنشاءات والتجهيزات على أرض مساحتها ٣٦مليون متر مربع والتي بدئ العمل في إنشائها وتفتتح أبوابها لطلابنا في سبتمبر عام ٢٠٠٩إن شاء الله.

هذه الجامعة المنارة ستسهم في نقل المملكة إلى مرحلة الصناعة المعرفية، وستستقطب نخبة من العلماء والباحثين العالميين المرموقين، وستوفر بيئة علمية خصبة أمام البحث والابتكار والدراسات العليا في مجالات علمية وإستراتيجية ترتبط بأحدث العلوم والتقنيات مثل تقنية النانو والتقنية الحيوية والتي تشكل قفزة في العلوم التطبيقية في العصر الحديث.

التطور الثاني يتمثل في الخطة الإستراتيجية للتعليم الجامعي التي وضعتها وزارة التعليم العالي وبدأت تطبيقها وهي خطة طويلة المدى للربع قرن المقبل ويساهم في تطبيقها الجامعات السعودية والجمعيات العلمية الوطنية وبيوت الخبرة العالمية، وتسهم في تحقيق نقلة نوعية حقيقية في التعليم العالي بالمملكة، ومن هنا فإننا نتفاءل ونستبشر بمستقبل مشرق ومزدهر للتعليم العالي إن شاء الله يحقق طموحات القيادة الرشيدة ويلبي تطلعات الوطن وأبنائه.

* خبير في استراتيجيات التعليم